خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com
صباح القس/ بغداد

قريبٌ غيرُ مقترب
ومؤتلفٌ كمجتنبِ
له ودّي ولي منه
دواعي الهمّ والكربِ
أواصله على سببٍ
ويهجرني بلا سببِ
ويظلمني على ثقةٍ
بأنّ اليه منقلبي

هذه الابيات للمغنية الشاعرة عبيدة الطنبورية وكانت تتعشق الغلمان. وكانت لها شهرة واسعة في الضرب على الطنبور ولها فيه صفة عجيبة ولهذا فقد جاء لقبها من صفتها.

استمع اليها اسحق الموصلي في غفلة منها في جلسة سمر لكي يتأكد من حسن أدائها وجودة ضربها فاتفق مع جلسائه على هذا وإخذت تضرب على الطنبور وتغني حتى شرب اسحاق الكثير دليلا على اعجابه بغنائها وقدرتها على اداء الالحان وفي تلك الامسية غنت الابيات المتقدمة.

وعندما قام الموصلي لاداء حاجته اخبرها الصحب عن شخصيته فلما عاد الى مكانه وابتدأت الغناء اصابها خوف وارتعاش وفقدت السيطرة على ادواتها فعرف انهم اخبروها عنه. فقام الموصلي وانصرف وقال لا خير لي في عشرتكم هذه الليلة.

وتقول الرواية ان الطنبوريين اجتمعوا عند ابي العباس بن الرشيد، وفيهم المسدود "من العازفين والمغنين المشهورين" وعبيدة، فقالوا للمسدود: غنِ، فقال: لا والله، لاتقدمت، عبيدة وهي الاستاذة، فما غنى حتى غنت.

قال شرائح الخزاعي في روايته:

كانت عبيدة تعشقني فتزوجت فمرتْ بي يوماً فسألتها الدخول، فقالت: كيف ادخل وقد اقعدت في بيتك صاحب مصلحة؟ ولم تدخل.

اعود الى الابيات التي تقدمت وارى فيها غزلاً جميلاً موشحاً بأطار فلسفي فيه من التذلل ما يشير الى الانصياع لاوامر المحبوب مهما غلت وعلت. غير ان هذا النوع من الحب والتذلل فيه انما يكثر عند الشعراء من الرجال ويقل عند النساء لكن عبيدة الطنبورية هنا تخرج عن هذا المبدأ لتنشر فلسفتها الخاصة.

ففي البيت الاول نرى حبيبها قريباً منها لكنه غير مقترب وهنا المعادلة الفلسفية كيف يكون قريبا غير مقترب ربما تقصد انه قريب منها جسديا ولكنه غير مقترب منها روحيا وربما لم يتحسس حبها ولم يتصارحا بهذا الحب. لكنه في الجانب الاخر نراه مؤتلفا ولكن هذا الائتلاف مع الحبيبة لم يكن بالمستوى المطلوب لتحقيق حالة حب مستقرة فنرى هذا المؤتلف كالمجتنب، ومعنى هذا ان لاقيمة لهذا الائتلاف في ظل الاجتناب.

في البيت الثاني يحصل المحبوب على كامل الودّ من الحبيبة ولكن فهي بالمقابل لا تحصل منه سوى على الهم والكرب اي الحزن انها معادلة غير متساوية ولا يستقيم الحب عندها.

في البيت الثالث نرى الحبيبة تواصل حبيبها على كل سبب اي في جميع الاحوال ولكننا نرى في الجانب الاخر الحبيب وهو يتحين الفرصة للهجر والانقطاع والبعد وبدون سبب.

والحبيب اذ يرى هذا التدلل والاندفاع عند الحبيبة فانه يغتر ويقسو ويظلم وهو على ثقة بان مصير هذه العاشقة المستلبة راجع اليه.

هذه حالة في الحب السلبي اطلعتنا عليها عبيدة الطنبورية، وهذا لايعني ان الحب اذلال، ان الحب حالة انسانية سامية تتآلف فيها الارواح للوصول الى مرحلة من الشراكة الروحية الجسدية يحققها الزواج.

من حقنا أن نعيش في أرض آشور وبابل

هواجس

الراهب آشور ياقو البازي

ليس لنا
خيار آخر..
اما نموت
واما نعيش
في بلاد النهرين..
فقط ها هنا
فوق ثرى
أغلى
تراب
في العالم..
تجدون
من يؤمن
بعبرة الأخذ
والعطاء
هنا
في وادي الرافدين
ولدتنا امهاتنا،
وهنا
ستبقى هاماتنا..
حيث كرمنا
قد أغرقكم،
ولم يبق لنا
شيئا نقدمه لكم
هنا..
فلتنظروا
انكسار البيوت
والثكالي
امهاتنا
يبكين
براءة العزل
فينا..
لما تعشقون
دفننا تحت التراب؟
أهذه
حلولكم العادلة
التي ابتكرت لاجلنا؟
يا أهلنا
يا ربعنا دعونا
نقف مرة
وقفة واحدة
متوحدة،
واذكروا أحبائي
ان العراق
هو وطنكم
منذ
آلاف السنين
قبل ميلادهم
كنا على
هذا الثرى..
وبهذا الحنين
لن
نقبل بضياعه،
أو تجزئته
أيا كان الثمن باهضاً..
من حقنا
أن نبقى
أحياء في بلادنا..

في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الشاعر الكبير سركون بولص

شليمون داود أوراهم

رحل في الثاني والعشرين من تشرين الأول من العام الماضي الشاعر العراقي المعروف سركون بولص الذي توفي في العاصمة الألمانية برلين بعد صراع مر مع المرض.

وإكراما لذكرى هذا الأديب الكبير "الشاعر والمترجم... والرسام"، والأثر الطيب الذي تركه في الساحة الأدبية العراقية والعربية والعالمية.. كان لا بد من وقفة متواضعة في الذكرى السنوية الأولى لرحيله:

ولد سركون بولص عام ١٩٤٤ بالقرب من بحيرة الحبانية في العراق، أقام منذ عام ١٩٦٩ في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة وأمضى السنوات الأخيرة متنقلا بين أوروبا وأميركا، وخصوصا في المانيا حيث حصل على عدة منح للتفرغ الأدبي، وصدرت له ثلاثة كتب بالألمانية، "غرفة مهجورة، قصص، ١٩٩٦"، "شهود على الضفاف قصائد مختارة، ١٩٩٧" و"أساطير وتراب، سيرة". كما أصدر ترجمته لكتاب ايتيل عدنان "هناك في ضياء وظلمة النفس والآخر"، و"النبي" لجبران، و"رقائم لروح الكون.. ترجمات مختارة".

وقبل أن يهاجر انتمى سركون بولص في الستينات إلى جماعة كركوك الأدبية، حيث برزت وقتها أسماء عدة من العراقيين الناطقين بالسريانية "بحسب التوصيف حينئذ"!، مثل الشاعر وراعي الأدباء "الأب يوسف سعيد" والشاعر العبثي الراحل "جان دمو" إلى جانب سركون بولص.. الشاعر العراقي الأصيل والمتميز، والمنحدر من مدينة كركوك، والذي حاول مع أقرانه حين وصلوا إلى بغداد في الستينات تغيير خارطة الشعر العراقي.

ومن بغداد حمل سركون بولص مشروعه الشعري، حيث توقف في بيروت وتعرف على تجربة مجلة "شعر" اللبنانية وساهم في تحريرها وترجم العديد من النصوص الشعرية من اللغة الإنكليزية، خصوصا لشعراء القارة الأميركية. ثم منذ فترة تزيد على عشرين عاما هاجر سركون بولص ليقيم في مدينة سان فرانسيسكو، وخلال الأعوام التي قضاها هناك، بقي سركون مخلصا للشعر ولترجمة الشعر، وأثناء تلك الإقامة الطويلة التي قرر أن ينهيها بالذهاب إلى أوروبا، خصوصا إلى لندن وباريس وبرلين حيث حصل على عدة منح للتفرغ الأدبي، لم يتخلص من لهجته البغدادية وبقي نفس القروي ذلك القادم من كركوك.

في مدينة سان فرانسيسكو تعرف سركون على أشهر الأدباء الأميركيين الذين يمثلون جيل البيتنكس أمثال ألن غينسبرغ، كرواك، غريغوري كورسو، بوب كوفمن، لورنس فيرلينغيتي، غاري سنايدر وغيرهم. ويعد الشاعر سركون بولص من المترجمين العراقيين المتمكنين من فن الترجمة، إذ رفد المكتبة العربية بالعديد من ترجماته الأمينة لإزرا باوند، أودن، ميرون، شيللي، شكسبير، وليام كارلوس وليامز، سيلفيا بلاث، غينسبرغ، روبرت دنكان، جون آشبيري، آنا سكستون، روبرت بلاي، جون لوكان، فضلا عن نيرودا، ريلكه، فاسكو بوبا وآخرين.

أصدر سركون بولص عدداً من الدواوين الشعرية وهي "حامل الفانوس في ليل الذئاب"، "إذا كنت نائما في مركب نوح"، "الأول والتالي"، "الوصول إلى مدينة أين"، "الحياة قرب الأكروبول". كما صدرت له مختارات شعرية مترجمة بعنوان "رقائم لروح الكون"، ومجموعة قصصية تحت عنوان "غرفة مهجورة" باللغتين العربية والألمانية، فضلا عن سيرة ذاتية بعنوان "شهود على الضفاف".

وبالإضافة إلى الشعر، كان سركون بولص رساما ماهرا، وقد شارك بعدة معارض في سان فرنسيسكو، حيث رسم العديد من اللوحات الزيتية، وهي لوحات جميلة تشبه شعره كثيرا، وتوحدها تلك النغمة الغامضة التي تحمل في أعماقها أسرارا لا زالت تبحث عمن يفك شفرتها.

بعض ما قالوا في الراحل

في رحيل أسد آشور

جمانة حداد/ شاعرة من لبنان

مات سركون بولص. مات ذاك الذي "باع حياته ليشتري عينين وفيتين". مات شاعر شعر الليل، شعر الارتجاف، شعر المصير المعلق تحت مقصلة سيف دائمة، شعر العزلة والهشاشة والعجز بمعناه النبيل، شعر ضرب الرأس بالجدار، شعر اللاضجيج والانتي آيديولوجيا، شعر الانتماء إلى الإنسان والتحرر من أثقال الذات نفسها، شعر الوقوف على الحافة، شعر الحساسية العالية والنبرة الخافتة، شعر الشغف بالشعر.

مات سركون بولص رغم أنف الشعر الذي لم يستطع أن يخلصه. مات رغم أنف محبتنا له، نحن عارفيه عن كثب، ومحبيه عن بعد. مات رفيق جان دمو وجليل القيسي وأنور الغساني ويوسف الحيدري وفاضل العزاوي ومؤيد الراوي. مات شاعر الشعر بصفته شعرا معاشا قبل أن يكون قصيدة مكتوبة. مات شاعر الشعر بصفته انتحاراً يوميا على الورق.

الحجم الكمي والتأثير النوعي

صبحي حديدي/ ناقد من سوريا

رحل سركون بولص شاعرا كبيرا صاحب تجربة كبرى، بالغة الحضور، واسعة التأثير.

إنّ الحجم الكمّي لنتاجه الشعري لم يتناسب البتة مع حجم التأثير النوعي الهائل الذي مارسه منذ مطلع سبعينات القرن الماضي وحتى اليوم في الواقع، على جيلين متعاقبين من الشعراء العرب، وشعراء قصيدة النثر على نحو أخص.

وغنيّ عن القول إن تجربة الراحل الكبير اشتملت على العديد من الاختراقات التعبيرية والفنية والجمالية، فضلا عن تلك التي تخص موضوعات قصائده.

زاهد بالأوصاف والألقاب

صالح دياب/ شاعر من سوريا

يعلمني سركون بولص الكثير الكثير عن مفهوم الشاعر.. وألفته وعاديته.. وزهده بالأوصاف والألقاب. أحب شعره وأتبعه وأنتمي إليه بقوة الآن، ذلك الشعر الذي بمقدار ما يحفر في العالم يحفر في الأغوار السحيقة. وأصطدم وأندهش بالعالم الخارجي الذي يملأ قصيدته، وتلك اللاواقعية التي تنبثق من الجوهر الروحاني للشعر، والتي تلمع وتشع في كامل قصائد الشاعر.

أتعلم من قصيدة سركون بولس التي تنفتح على عوالم متعددة وأزمنة مبعثرة. أتعلم من سركون كل قصيدة تستعيد الظلال البعيدة من الذاكرة وتسجل اللحظات الحياتية للشاعر.

أطراف وأصابع وحواس

ناظم السيد/ شاعر من لبنان

حين مرّ سركون في بيروت وكتب في مجلة "شعر" في أواخر الستينات، كنت لم أولد بعد. لهذا كنت أسمع عنه من أصدقائي الشعراء الذين يكبرونني، فقط ليرووا لي أحاديث هذه المدينة السابقة. ولأننا لا نكتشف الشعراء من تلقاء أنفسنا بل نسمع بهم أولا "لاحقا قد نعيد اكتشافهم بطريقة مناقضة"، سمعت عن سركون هذا المشاء الكبير. وتعلمت منه كيف يكون الشعر مطابقا للحياة، كيف يكون للكلمات أطراف وأصابع وحواس.

عاش كثيرا في وقت قليل

عناية جابر/ شاعرة من لبنان

لن نأسى سركون في موته فلا يحق للسرطان أن يؤلمه بعد. رحل الرجل وكان قد عاش على قياس رغبته في العيش. عاش كثيرا جدا في وقت قليل، وكتب الذي كتبه، وقد خلفه لنا أخيرا لنهتدي إلى الشعر في الحياة، وليس في الكلمات. عشقته نساء كثيرات، وكان يأنف الكثرة في عشقهن، يلوّن الوقت بالأكل والخمر والترحال.

كان لي شرف منادمة شاعر ذات يوم. وأحسبه لم يرث نفسه في وحدته حيال الموت، فقد خبرَ ما هو أقسى، وما هو أمرّ، سوى أنه رحل أخيرا بذخيرة من الأماكن، والكلمات، والتفاصيل، والعلاقات الخفيفة التي لا تثقل على القلب، ولا تجعله يدمع حين يؤذن الرحيل.

كم كنا نحبك

إسكندر حبش/ شاعر من لبنان

كان من قلة قليلة أشعر بانتمائي إليه، إلى عالمه الشعري الذي سحرني ولا يزال. أشعر فعلا أني فقدت أحد آبائي الذين أدخلوني إلى القصيدة الجديدة وإلى الكتابة الشعرية في ما بعد. صحيح أنني لا أنتمي إلى قصيدته كتابة، أي بمعنى استعادتها والنسج عليها، لكن هذه المخيلة النابضة التي كان يتحلى بها، كما لغته الجديدة البعيدة عن تهويمات شعر تلك الفترة، فتحتا لي آفاقا عديدة في الكتابة الشعرية.

لا أريد أن أرثي شاعري. صحيح أن فقدان شاعر بحجم سركون بولس، لا بد أن يترك فجوة ما، في الشعر، في الحياة، في اللغة عينها. إلا أنه يكفي أن نعود لنقرأ شعره، لنحس كم أن هذه الحياة تفقد الكثير من معناها. هذا ما سأفعله: سأقرأ شعره اليوم، وأمامي هذه القارورة. فقط لنقول كم كنا نحبك. لنقول كم أنت سمجة أيتها الحياة.

الفتى الآشوري

هاشم شفيق/ شاعر من العراق

لماذا أيها الرب؟.. في هذه الأيام المعتمة التي تحيط بي، أتلقى هذا الخبر المعتم.. الرهيب، ألا تكفي هذه الفجائع مترامية الأطراف التي تختم الأصقاع والنواني وتسم ما حولنا بالرماد السابغ، ألا يكفي حطام الحواضر ومتوالية التأبين وأنين الأضاحي في بلد آشور بانيبال، حتى تلتفت إلى هذا الفتى الآشوري الحالم بعوالم السلام والشعر واللحظات الرومانسية لكي يطوى هكذا وعلى عجالة قصوى هذا الشاعر الفريد ذي الإسم الباهر الذي يذكر بحفيف الألماس، يطوي صحبة أعوام قليلة وحياة ملأى بالكلمات، حياة متخمة بالمعاني ومفتونة بالرؤى والمجاهل والأسرار والغوامض، حياة معبأة في حيوات، طافحة بالحلم وبوعد مختلف.

قرأت سركون بولص في مطالع حياتي الأدبية، فألفيته مختلفا، يحمل نكهة شعرية خاصة به، وهذه النكهة الفريدة والغريبة هي من حصة النوابغ والحالمين والمغيّرين المنقبين في الإكسير عن الجمال الأبدي، من هنا جاء شعره لا يشبه أحدا، طعمه يعلق في الذاكرة كحلم مصنوع من نور.

عمارة ذات أعالٍ وسفوح

عباس بيضون/ شاعر من لبنان

أحسب أن سركون بولص بين شعراء القصيدة الراهنة هو أقرب الشعراء إلي. والحق أنني ما أن قرأت قصائده في مواقف حتى ذهلت. كانت هذه واحدة من اللحظات التي نشعر فيها بشرارة الشعر تخترقنا. إنها اكتشاف أكيد. لم يتوقف سركون عن إدهاشنا. كانت عمارته الشعرية ذات أعال وسفوح. وفي أعاليه قول للأعالي وفي سفوحه قول للسفوح. لا بدّ أننا كنا أمام أحد أنضج رجالنا وأكثرهم تجربة وأقربهم إلى مثال الشاعر. لكن سركون بولص الذي ضربه الشعر في حياته بقدر ما ضربه في أدبه، قاده الشعر على دروب الحياة إلى أبعاد لم نلحقه إليها. هكذا وجدناه أحيانا كثيرة يهجر سوق الشعر وسوق النشر وسوق النقد. والآن حين يرحل باكرا جدا لا بمقياس السنين ولكن بقياس المقدرة نعلم أن علينا أن نبحث أكثر فأكثر لنلتقي هذا الرجل.

الأب الحقيقي

شوقي بزيع/ شاعر من لبنان

أكثر ما يؤلمني وأنا أتحدث عن سركون بولص الآن أنني أفعل ذلك بعد رحيله، ذلك أن شاعرا مثله كان يستحق منا جميعا أن نكون أكثر وفاء لتجربته في الشعر والحياة. لقد آثر دوما أن يقيم في الظل، أن يتوارى وأن لا يدخل في معارك الشعراء الدونكيشوتية، معتبرا أن الحياة لا تتسع للقصيدة والضغينة في آن معا. لقد عمل كل جهده على تطوير قصيدة الحداثة وصنع قصيدته غرزة غرزة من دون أن يأبه للوجاهات وللبهرجة الإعلامية. وربما اختار منفاه إيثارا منه للمزيد في التواري، وهو يرى بأم العين ليس خراب البصرة وحده بل خراب العالم العربي برمته وخراب العلاقات الإنسانية. وكان، وهو الأب الحقيقي للكثير من التجارب التي جاءت بعده، يخجل من كونه أبا لأحد، ويحدب حتى على الشعراء القادمين من مسارب مختلفة عنه حدب الأمهات.

عن مؤسسة الشهداء
صحيفة "الخالدون" تفرد كتابات عن شهداء الحركة الديمقراطية الآشورية

تصدر عن رئاسة الوزراء مؤسسة الشهداء
الخالدون
Al-Khaledoon
موقع المؤسسة
www.alshuhadaa.com
البريد الالكتروني
khal@alshuhadaa.com

افردت صحيفة "الخالدون" التي تصدر عن مؤسسة الشهداء كتابات عن شهداء الحركة الديمقراطية الاشورية. حيث نشرت في العدد "١٧" وفي الصفحة التاسعة مساهمة بعنوان "من شهداء الحركة الديمقراطية الآشورية" خصص عن الشهيد الخالد يوبرت بنيامين شليمون. تضمنت المساهمة نبذة عن حياة الشهيد وما عرف عنه من خصال ومزايا ثورية.. وايضا تاريخ التحاقه بالحركة ونضاله في مقارعة الدكتاتورية والشوفينية وانتهت بوقفته الجريئة امام اعواد المشانق في سجون النظام البائد في ابي غريب المشؤومة.

وفي الوقت الذي نقدم شكرنا واعتزازنا بالاخوة في ادارة وهيئة تحرير صحيفة "الخالدون" نثمن عاليا ونقيم دور مؤسسة الشهداء في ابراز دور المناضلين الذين قدموا حياتهم قربانا من اجل تحقيق كل الاماني والطموحات لشعبنا العراقي.

والله لو ينهض آشور

شعر شعبي

موفق الوزان
امين سر رابطة الشعراء الشعبيين نينوى

والله لو ينهض آشور
ويشوف تهجير اخوانه المسيحية
يجهز عربته ورجاله
ويصرخ وتجاوبه جبال وبرية
وينهض معاه البطل سنحاريب
صياد الاسود وكواسر وحشية
ويشهد تاريخ عراق الخير
خوضه حروب معارك قوية
صد كل الغزاة بجيشه
ما باس ايادي غزاة الهمجية
آشور حضارة عريقة واسال
مبادئ شرف حب انسانية
العراق مهد العلم والحضارة
ومنه شع نور البشرية
واليوم نعيش احنه بمحنه
حملة تهجير اخوان المسيحية
بعمليات اعتداء تفجير الدور
هجمة فتنة اساءة للقومية
والله المسيحي والمسلم اخوة
تجمعهم روابط قديمة ازلية
تشاركنا بكل حلوة ومرة
تقاسمنه الخبز سوية
لعنة لكل مثير فتنة
عنده اطماع وافكار غبية
دورنه مفتوحة والله الكم
كلمة شرف وحب اخوية
انتم ابناء العراق الصابر
عانيتم مصائب وكوارث وعنصرية
نشاركم الفرح والالم والحزن
ونحترم حقوقكم بكل شفافية
لا اكراه بالاديان ابدا
رسالة السما تبقى ابدية
رابطة شعراء نينوى تحييكم
اخوة اسلام ومسيحية

الخروج من كهف العقل

ناجي التكريتي / بغداد

واسأل في نهاية المطاف نفسي: هل انا حقاً قد اعترفت اعترافا كاملا، بكل ما وعيته، وكل ما طرأ علي من احداث، وكل ما شاهدته وسمعته، خلال سنين حياتي؟ اني اشك في ذلك. اكثر من هذا، اعترف انه ليست لي القدرة ان اخرج من كهوف عقلي الباطن، كل ذلك الخزين.

اقول هذا بكل صدق واعتداد، غير مبال بلوم اللائمين. كهوف اللاوعي عميقة ومظلمة، وان المصباح المنير الذي احمله، وهو العقل الظاهر، ليس له القوة ان يسبر غور الأعماق. ان نور المصباح محدود بحدود القوة الظاهرة، التي يتمكن الوعي ان يتذكرها ويستجلي مآثرها.

اني اعترف، ان هناك مجاهل ليس باستطاعتي اقتحامها، وهناك اماكن ليس مسموحاً لي بالاقتراب منها، وهناك زوايا لا يمكنني الدخول فيها، وهناك مناطق ليس من حقي التدخل في شؤونها.

قدر ارتضيته من دون ان يكون لي به اختيار. لم يستشرني احد، ولا انا الذي بنيت كياني. هيكل محدود الأوار، وصفائح من عقل ركبت بتدبير، ونفس تمور في جبلة هذا الكيان.

الصورة واضحة امام العيون. ولكن ما خفي عن النظر كنز مكنون. من لي بمن يسبر الغور، ليطلع على خزين الانطباعات، التي رسمتها في أعماق ذاتي، طوال ايام حياتي.

ان الأمر صعب وشاق انا ادري، على ان الأصعب من ذلك، هو حتى لو شاهدت كل الانطباعات مرسومة امامي، على صفحات مرآة الزمن، فهل انا قادر على وصفها، مهما اوتيت من بلاغة وبيان. رسوم الحروف وصنع الكلمات شيء، وصور الذكريات التي تمور في الأعماق شيء آخر.

لا اجدني قادراً على تفريغ كل المعلومات التي امتلكتها على مدى تعاقب السنين، كم هو عدد الشهور في كل عام، وكم هو عدد الأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني واللحظات. كم هائل من حسابات الزمن، إذا ما عرفت اني وليد كل طرفة عين.

انه جبل الثلج الذي يظهر منه خمسه للمشاهد، اما الأجزاء الأربعة الأخرى، فانها تغور في عمق البحر المحيط. اننا نداعب ما نراه، ونتصور ان هذا الجزء هو الحقيقة عينها، وهو القائد الذي يبحر بنا في محيط الحياة. اننا ننسى، وقد نجهل ان القسم الأكبر هو الذي هو اثره علينا، وهو الذي يوجه دفة السفينة في بحر الحياة.

الكهف المخفي عني عميق ومجهول. كيف لا يكون كما هو عليه الآن، وهو عني بعيد المنال. صور ما تزال وستبقى في حركة دائمة، ولن تتوقف في اية لحظة عن الدوران. انها تمور في كون حي، وإذا ما كفت عن الحركة، سيكون عدم واندثار.

ان الوعي الذي اتمثله واضح الأركان. اني حين اتأمل دقائق حياتي، تبدو لي صافية الأديم. اني استطيع ان اتذكر اشياء صغيرة، شاهدتها او سمعت عنها او مارستها، منذ ان غادرت ظلام السنوات الأولى من عمري حتى الآن.

مهمتي الصعبة في ان اخترق جدار اللاوعي في كثير من الأحيان. ليس من السهل النفاذ إلى ذلك في أي وقت اشاء. إذا ما تسنى لي الإطلال على بحر العقل الباطن، سأقف مذهولا على شاطئ بحر محيط. ظلام مخيف يكتنف الأجواء، والنور الذي اسلطه، لا يكشف لي الا على جزء يسير مما كان.

انا إنسان، فهذا هو إذن قدري في الحياة. صورة واضحة المعالم ظاهرة للعيان، وجوهر الهيولي عميق الغور. حسبي اني حفرت في مجاهل كهوف ذاتي بأزميل الوعي تارة واستدرجت تارة اخري، تدفقات التداعي وما تجود به رؤي الأحلام.

أي نعم، انا غريب، ولا يجبرني ان اعترف اعترافا كاملا بهذا الشعور، الذي يلازمني ليل نهار، دون ان تطرف شعرة من جفني. كل شيء يشعرني بالغربة، وانا لا حول، ولا قوة، الا ان اغدو واروح، بكياني هذا، داخل نطاق المجتمع.

أي نعم، انا غريب في فترة زمنية محددة، لست انا الذي اخترتها او رسمت حدودها. الأغرب من هذا، اني لم اكن اعرف يوم قدومي، وانا الآن اجهل يوم مغادرتي. كيف لا اكون غريبا إذن، عن حياة الإنسان التي امتدت منات الآلاف من السنين، ولا احد يدري متى تنقطع حياة البشر من الكرة الأرضية، ولا متى سينتهي وجود الإنسان من كل مكان.

كيف لا اكون غريباً في مجتمع انساني كبير، يأكل القوي فيه الضعيف، والناس على سطح المعمورة، ما بين ظالم ومظلوم. حالة تفتت الأكباد وتحير العقول وترهق النفوس. كل إنسان اقابله او اسمع عنه، يدعي العدالة ويطالب بالمساواة، ولكن واقع الحال غير ما يتحدث عنه المقال، وانا الذاهل بين هذا وذاك.

غريب انا في كرة ارضية، لم يدرك اسرارها الكاملة، احد من الناس لحد الآن. ان ما توصل اليه جهابذة العالم جزء يسير، وما تزال الأعماق عصية عن الانقياد لبد الإنسان.

انا جزء من هذه الكرة الأرضية، ومن التراب تركب هذا الهيكل الفاني، لأنه الى التراب سيعود في يوم من الأيام. لا بد ان اعترف ملئ صوتي، اني انا نفسي اجهل مكنونات نفسي. كيف؟ ولماذا؟ تلك حقيقة اسطرها على الورق شهادة كجهلي بحدود تركيب وقدرات كياني.

كيف لا اكون غريبا، وانا الذي كنت آلف كثيراً من الناس، ثم ذهبوا ذات يوم، دون رجعة ولا كلمة وداع. ان الغربة تنطلق من جهلي بعدم معرفتي، في ما إذا سألتقيهم في يوم قادم، ام الفراق ابدي، لا لقاء بعده ولا لقاء.

انا غريب، ما دام وجودي طارئاً، في مكان وزمان معينين، ولأجل ان اعترف بهذه الحقيقة، ملء وجودي مرغما، ولا خيار لي في ذلك ولا اختيار. اني طارئ من حيث كوني الطبيعي والاجتماعي معا.

اني لو حذفت وجودي الطبيعي من الوجود، فكل شيء يسير – من دوني – كالمعتاد، من دون تقديم ولا تأخير، لو سحبت نفسي من التنظيم الاجتماعي، فان المجتمع، سيواصل رسالته الاجتماعية، كما هو معهود منه على الدوام.

رب قائل يقول، لو حذفت وجودي الطبيعي او الاجتماعي، فان هذا يعني حذف رقم من عدد هو عبارة عن مجموعة ارقام. فان رقمي إذن مهم لأنني امثل واحداً من كل، وهكذا فان كل واحد في المجتمع الإنساني يمثل واحدا من كل. ان حذف الواحد إذن يعني، من هذا المنظور، حذف الوجود الإنساني من سطح الكرة الأرضية.

اني حتى لو ايدت الرأي، من وجهة نظر حسابية، فان الرياضيات ليست صائبة على الدوام، ولا سيما في القضايا الاجتماعية، او في ما يشعر به الشخص، كونه كائنا فرديا، له خصائصه الذاتية التي ينفرد بها عن الآخرين.

الست غريباً، حين اعرف انني وجدت على قطعة ارضية صغيرة، وسط بركة من ماء كبير؟ كيف لا اشعر بالغربة، حين اجدني ادور مع هذه القطعة الحجرية، مع مجموعة كثيرة من القطع الحجرية، حول كرة نارية تلتهب، لا احد يعرف من اسرارها، الا اقل من القليل.

عرفت هذه المجموعة بالمجموعة الشمسية، والتي تدور وتدور، من دون كلل ولا ملل. إذا كنت اعترف اعترافا كاملا، انني اشعر بالغربة وسط هذا الهيكل الناري الذي يحيط بي، فان العلم يقول ان المجموعة الشمسية هذه، ما هي الا مجموعة لها مقوماتها الخاصة بها، بين مجموعات اخرى، لم يدون العلم كنهها، ولا سبر العلماء غورها حتى الآن.

* الف باء